الفرص والتحديات في قمة الوجود لا الحدود!

د. محمد الرميحي

يترقب الشارع الخليجي القمة الثالثة والثلاثين لدول مجلس التعاون التي تلتئم بعد أيام، في العاشر من ديسمبر الجاري في الكويت، بأمل ورغبة، الأمل أن تخرج هذه القمة بقرارات تنقل الوضع الحالي الذي استمر طوال هذه العقود الثلاثة الماضية، بكل إيجابياته وسلبياته، أن تنقله إلى شيء جديد يقارب الاتحاد، ورغبة صادقة في أن يقرأ المجتمعون التحديات الشاخصة أمام هذه المنظومة وشعوبها، من منظور الخير المشترك لا إنقاذ النفس فقط أو التشاحن على أمور ثانوية، المرحلة حاسمة وتحمل مخاطر جدية.

كان الاجتماع الذي عقد في الرياض الأسبوع الماضي بحضور القيادة السعودية والكويتية والقطرية فاتحة أمل أن يجري لم الشمل، بعد أن تسربت معلومات وأفكار عن «وقفة نفس» لم تقصر في شرحها والبناء سلبا عليها وإصدار النظريات حولها في توقع التبعثر، الصحافة الأجنبية أو الكثير ممن يقرأون في فناجين القهوة ويفسرون المواقف من وجهة نظرهم تنبأوا بالانفراط. الأمر الذي حدث في الرياض الأسبوع الماضي وجب أن يبنى عليه باتجاه الخروج بموقف يواجه التحديات الكبرى التي تواجه دول الخليج.

التحديات كبيرة، فقد انتهى الماراثون السباقي بين الولايات المتحدة والجارة الخليجية الكبيرة إيران بصلح، قد يكون مؤقتا وقد يكون دائما، ولكن الحدث قد تم. وقرئ من أكثر من زاوية، بين قراءة مهونة وأخرى مهولة ومهما كانت زاوية القراءة، هل ما حدث انتصار للجمهورية الإيرانية، أم هو خسارة لها وانتصار للقوى الغربية؟ سيبقى ذلك التساؤل قائما ومفسرا من منظور المصالح. الأكثر أهمية ما هي نتائجه على دول الخليج؟ النتائج واضحة، أعلنت في مقالة نشرتها هذه الجريدة الخميس قبل الماضي، للسيد محمد جواد ظريف وزير الخارجية الإيراني التي دعا فيها إلى تكوين منظومة إقليمية تضم الدول الست «مجلس التعاون» مع إيران والعراق! ولم يتوقف هناك فقط، بل دعا إلى أن تبتعد هذه المنظومة عن الأطراف الأخرى، وهي دعوة للانسلاخ الخليجي عن الجسم العربي، الذي ترغب إيران بالتدخل فيه من سوريا إلى لبنان إلى العراق، لكن ليس دول الخليج. من أكبر الأخطاء التي يقع فيها السياسيون تاريخيا هي حسن النوايا، فعراق اليوم قلبا وقالبا متحكم فيه من طهران، وإن وضعنا الدولتين «العراق وإيران» في كفة، فإن دول مجلس التعاون الست يبقى وزنها الجغرافي والسكاني أقل بكثير من الوزن المقابل، يعني ذلك تمكين إيران بعد «نصرها» المؤزر على الغرب، بنصر إقليمي جديد! بعد مقالة ظريف تظهر لنا إحدى الصحف اللبنانية المقربة إلى حزب الله اللبناني تقول، وأنا أنقل بالحرف: «طلب السيد نصر الله، وخلال لقائه مساعد وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان «وهو كما يبدو رجل المهمات الصعبة»، يرافقه السفير الإيراني غضنفر ركن آبادي والقائم بالأعمال محمد صادق الفضلي، تطرق الحديث إلى الملفات الإقليمية، وخصوصا الوضع في سوريا. ونصح نصر الله عبد اللهيان بألا يعمد الإيرانيون إلى الاستجابة لطلب المنامة إرسال سفير إلى البحرين. «الوقت غير مناسب» بالتوقيت الإيراني؛ ففي طهران حكومة جديدة، إصلاحية في بنيتها، سبق أن أعادت خطوط الطيران بين الجانبين، وإعادة السفير الإيراني إلى المنامة في ظل حكومة من هذا النوع في طهران سيعني انفتاحا مفاجئا وبلا ثمن، وسينعكس بنحو سلبي جدا على وضع المعارضة في البحرين». «انتهى النقل» وهذا تدخل واضح آخر يكشف عن النوايا، في محاولة لإسقاط الحالة اللبنانية على الحالة البحرينية. أما الأكثر أهمية فإن وجود إيران الذي أصبح مغروسا في العراق، إلى درجة إرسال بعض الصواريخ من الأرض العراقية إلى الحدود الشمالية المحاذية للمملكة العربية السعودية والكويت «مباشرة بعد محاولة تفجير السفارة الإيرانية في بيروت»، ووجودها في سوريا الذي لا يحتاج إلى كثير إثبات، فلدينا حزمة من التصاريح الإيرانية التي لا تؤكد، بل تفخر بمساعدة بالمال والرجال لنظام بشار الأسد ضد شعبه! الكماشة الإيرانية قابضة على العصب العربي.

الموقف الإقليمي متأرجح بين تفاؤل حذر وتشاؤم مستحق، في العلاقات الغربية، وخاصة الأمريكية، مع إيران، والتناول المتأرجح في الملفات المختلفة، منها الملف السوري وأيضا ملفات «ربيع العرب» من مصر حتى تونس! وعلينا أن نتذكر أن ملفات تحت السطح بين الجارة الإيرانية وبين بعض دول الخليج لها علاقة بالحدود البحرية والثروة النفطية والغازية التي تكمن تحتها، وهي ملفات مرجح بروزها.

خلاصة الأمر أن المعدة الغربية السياسية وخاصة الأمريكية لم تعد ترى إلا خطرا واحدا هو الخطر القادم من «الإرهاب» وهو في أغلبه «إرهاب سني» من وجهة نظرها! وكان المؤمل أن يطوق هذا الإرهاب بوصول تيار سياسي إسلامي سني «معتدل» في مصر وغيرها، إلا أن هذه المراهنة سقطت لأسباب ليس مكانها هذا المقال، أما الخطر «الشيعي»، وخاصة موقف حزب الله، فهو مقدور عليه، كونه مربوطا بسلاسل إيرانية ثابتة، ومتى ما تم الاتفاق مع طهران نزعت أسنان حزب الله، هكذا ترى الدوائر الغربية شكل الصراع في منطقتنا.

من جهة أخرى وفي أكثر من لقاء على مستوى باحثين وصحافيين قال الجانب الأمريكي إننا اكتشفنا «كويت جديدة» في جنوب داكوتا، لسنا معنيين بنفطكم كما كنا!

المياه التي تتغير من حول دول الخليج، في تفاعل متسارع ينذر بأخطار حقيقية، أين الخليجيون منها؟ إن كان الآباء قد شعروا بأن الحرب العراقية – الإيرانية في ثمانينات القرن الماضي زوبعة دفعتهم لإقامة «تعاون» أثمر في مكان وأجدب في مكان آخر، على أساس إيمانهم بقاعدة أصبحت معروفة في العلاقات الدولية وهي «أن الكل أكبر من مجموع الأجزاء» فإن مياه التغيير حول الخليج أصبحت أكثر من زوبعة؛ إنها «تسانومي» اليوم، اختلطت فيها الأوراق كما لم تختلط من قبل في نصف القرن الماضي. في منطقة الشرق الأوسط هناك من يرمي الشجرة بالأحجار وهناك آخرون يلتقطون الثمار! ومن جانب آخر يلتحق الديني بالسياسي في أكثر من بلد، كما لم يحدث من قبل، فلم تعد خطوط الديني مميزة عن خطوط السياسي، ولم يعد أحد يعرف ما هي الوسيلة وما هي الغاية! من جانب آخر سقط احتكار الإعلام سقوطا مدويا، فلم تعد المعلومة تبرز إلا مخلوطة بالإشاعة، كما اختلط التنوير بالتضليل.

أمام كل هذه التحديات الكبرى لا تستطيع دول الخليج منفردة أن تبحر في هذا الخضم، عليها التغيير والتكيف مع المعطيات الجديدة، وسيرسل اجتماع القمة الخليجية المقبل، بعد أقل من أسبوعين، رسائل جد سلبية، إن هو قدم المجاملة على الاستحقاق الذي تتوخاه الشعوب من تحقيق الأمن برفع درجة التكاتف ومواجه التحدي الوجودي لا الحدودي.

آخر الكلام:

يبدو أن أفضل حليف لترويج النصر الإيراني في صفقة النووي هو السيد نتنياهو، رئيس وزراء إسرائيل، فكلما زاد صراخه واحتجاجه على الصفقة، قدم هذا الاحتجاج للشعوب الإيرانية على أنه انتصار للموقف الإيراني! تناقض منقطع النظير.

عن «الشرق الأوسط» السعودية

نجح «الشيطان الأكبر».. وغاب الخليج!

جميل الذيابي

في الوقت الذي كانت فيه إيران والقوى الكبرى الست تجتمع في جنيف لانضاج «طبخة» سياسية للتوصل إلى اتفاق مع طهران في شأن برنامجها النووي، كانت على طاولة قمة ثلاثية خليجية عقدت في الرياض جمعت العاهل السعودي وأميري الكويت وقطر، نقاشات حول مواضيع عدة، في مقدمها مسيرة العمل الخليجي والخلافات البينية، وضرورة التنسيق والتكامل في القرارات قبيل القمة الخليجية التي ستعقد في الكويت قريبا. وتركز الحديث الخليجي على مسائل عدة بينها، التقارب التركي – الإيراني، والتقارب الغربي – الإيراني الذي أفضى إلى اتفاق جنيف.

الاتفاق الغربي – الإيراني لا يزال مبدئياً وموقتاً لمدة ستة أشهر في المرحلة الأولى، وهو الخطوة الأولى نحو مسيرة الألف ميل، ربما تنجح فيه إيران عبر المناورات السياسية لكسب الوقت، ولكنها لن تنفذه إذا كانت الصفقة مرنة في «السر»، وهو ما أشار إليه ديبلوماسيون غربيون في جنيف بقولهم إن «صيغة الاتفاق تمثل حلا مؤقتا، ولا تعترف صراحة بحق أية دولة في إنتاج وقود نووي».

لا أعرف لماذا يعتقد البعض أن السعودية ودولاً مهمة في المنطقة ليست لديها معرفة بفحوى المفاوضات وما طرح فيها من قبل ومن بعد! كان لدى السعودية ودول أخرى في المنطقة زارها وزير الخارجية الأمريكي جون كيري أخيراً معلومات عن فحوى المفاوضات التي أفضت إلى اتفاق يدخل إيران الحظيرة الدولية. لكن في المقابل لدى السعودية وشقيقاتها من الدول الخليجية توجساً وخشية وأسئلة وعدم ثقة بالإيرانيين، من واقع خبرة التعامل مع زعامات إيرانية منذ نجاح الثورة الإسلامية في إسقاط حكم الشاه، وجاء الاتفاق الغربي مع إيران حول برنامجها النووي غامضا، ما سيغير المعادلة في المنطقة، وسيضطر دولاً أخرى فيها إلى التسلح ودخول السباق النووي. كل ذلك بفضل خطط الولايات المتحدة ودول الغرب في ظل الغياب الخليجي، أو ربما «الثقة» الخليجية الخطأ، وعدم الضغط لحضور المفاوضات منذ البداية بين القوى الدولية وإيران، كون المفاعل النووي الإيراني يؤثر في العواصم الخليجية أكثر من تأثيره في طهران.

أعتقد أن أغلب التفاصيل حول اتفاق جنيف ستبقى سرية، وسيسرب بعضها لوسائل الإعلام من فترة لأخرى، بهدف الضغط في حال الحاجة إلى ذلك. لكن إذا تحولت إيران إلى دولة نووية فلن يتمكن العالم من وقف طموحاتها التوسعية، وستطلق يدها في المنطقة، ما سيفتح الباب على مصراعيه للتسلح النووي، وستدخل في ذلك دول عدة في المنطقة، بينها السعودية ومصر وتركيا والإمارات.

وهو ما دعا مسؤولين سعوديين إلى إطلاق تسريبات على لسان رئيس الاستخبارات السعودية الأمير بندر بن سلطان، ثم تصريحات ساخنة، آخرها تصريح السفير السعودي لدى بريطانيا الأمير محمد بن نواف لصحيفة «ذي تايمز» البريطانية بأن بلاده وجهت تحذيراً إلى الغرب من أنها «لن تقف مكتوفة الأيدي إذا فشلت الولايات المتحدة وبريطانيا وبقية الدول الكبرى في كبح برنامج إيران النووي الطموح»، مؤكداً أن «كل الخيارات متاحة»، في إشارة إلى أن دول الخليج الغاضبة والقلقة من طموحات إيران النووية «قد تنجر إلى سباق تسلح نووي».

حكاية المحادثات الغربية مع طهران طويلة ومستمرة منذ عشرة أعوام. كانت إيران خلال تلك الفترة تنجح أحيانا في إخفاء برنامجها النووي، وتتحدى المعاهدات الدولية، وتخرق القوانين الدولية، وتتدخل في شؤون الجيران، وتهدد استقرارهم بدعم الميليشيات المسلحة واستضافة رموز من تنظيم «القاعدة».

الاتفاق المعلن غير متين كما يبدو، ويشوبه غموض في بعض تفاصيله، ربما بقصد، وهو ما سيساعد إيران في التخلي عن بعض التزاماتها الدولية إذا لزم الأمر، ومن يعلم سياسات طهران جيداً، يدرك أن أي اتفاقات، حتى وإن كانت عبر «صفقة تاريخية»، كما وصفها الغرب، لن تنجح إذا استمرت في السياسات نفسها!

أشك في أن طهران ستنفذ ما ورد في «زواج جنيف»، كون المفاوضين الإيرانيين الذين حضروا لا يملكون القرار النهائي، حتى وإن وقعوا وبصموا عليه بالأيادي والأرجل، لأنهم ينفذون ديبلوماسية موقتة، فيما الثوابت حول هذا البرنامج النووي بيد القيادة الدينية وعلى رأسها المرشد خامنئي الذي لن تتخلى عنه.

هذا الاتفاق المعلن الذي رحبت به عواصم غربية لا يعكس جدية إيران في التوصل إلى اتفاق شامل ومتين، وإنما ساعدت في إنضاجه الظروف الإقليمية الراهنة، خصوصاً بعد تضعضع مواقع حلفاء طهران في لبنان وسورية، وتصاعد النبرة ضد المالكي في العراق، وكبح جماح تدخلاتها في البحرين، وكذلك كسر ظهرها بالعقوبات الاقتصادية.

أعتقد أن طهران ترنو إلى المهادنة الموقتة لكسب الوقت في جولات جديدة ربما تمتد أعواماً بعد أن لحقت بها عثرات وانكسارات كبيرة، خصوصاً أن البلاد تعاني أوضاعاً اقتصادية سيئة جراء الحصار والعقوبات، وهدفها من التوقيع هو تخفيف الضغوط عليها حتى تلتقط أنفاسها قليلاً. لكنها لن تتنازل عن مشروعها «الحلم» حتى لو وافقت موقتاً على تقديم تنازلات إضافية تتعلق بنشاطات التخصيب ومخزون اليورانيوم المخصّب ومفاعل أراك للمياه الثقيلة.

المهم في الأمر أن تلك الدول الممانعة – المقاومة تلفظ أنفاسها، وتسلم نفسها طوعاً للغرب بعد أن صمّت الآذان العربية بالضجيج وتسويق الشعارات الكاذبة التي لا تطبقها على نفسها وعلى حلفائها، بل تتهم بها غيرها!

النظام الممانع في دمشق شرع أبوابه وسلّم سلاحه الكيماوي للدول الغربية بعد أن قتل أطفال شعبه في الغوطة، وحليفه الاستراتيجي «إيران» صاحب المشروع الإمبراطوري التوسعي اتفق مع الغرب في جنيف أيضاً حول مشروعه النووي، ثم تبادل القبلات الحارة معهم، متنازلا عن شعارات الويل والثبور والمحو من الخريطة!

تذكروا أن أصحاب شعارات الممانعة والمقاومة أول من باع تلك «البضاعة الثمينة» على الرصيف بأسعار بخسة، وهرولوا إلى «الشيطان الأكبر»!

اللافت خلال المؤتمر الصحافي لوزير خارجية إيران جواد ظريف الذي كان على اسمه متذاكياً و«ظريفا»، أنه شدد على حق العالم في فرض القانون الدولي من أجل السلام، فيما كانت بلاده ترفض لعقود المعاهدات الدولية، وتهدد الجيران، وتهاجم «الشيطان» الذي فتح الأبواب سرا منذ أشهر، وسارعت إلى احتضانه في غرف بلا ضوء.

المضحك الآخر هو تذاكي جون كيري أمام الصحافيين بأن عدم الوصول إلى اتفاق مع إيران من شأنه الفشل والانهيار. فقط عندما تتأمل تلك العبارة، تعلم أن «العشق الأمريكي» أفضى إلى زواج «واشنطن وطهران»، وإعلان ذلك قبل عيد الكريسماس هذا العام يعني الاحتفال «بشهر العسل»، وإلا كيف تفرض أمريكا الحصار والعقوبات على إيران على مدى أعوام طويلة ثم تتمنى فجأة ألا تنهار؟ ألا يعني ذلك أن واشنطن حصلت على صفقة يمكنها الدفاع عنها وتبريرها؟

الأكيد أن واشنطن في نظر طهران لم تعد «الشيطان الأكبر»، كما أن طهران لم تعد في قائمة «محور الشر» كما كانت في نظر واشنطن. والزواج أعلن رسمياً في قاعة «الأمم المتحدة» في جنيف في حضور ستة شهود آخرين بينهم آشتون، فيما الغائب هو «الخليجي».

عن «الحياة» اللندنية

رسالة الصدمة والدهشة

فهمي هويدي

صورة تلميذات المدارس الثانوية اللاتي حكم على كل واحدة منهن بالسجن مدة 11 سنة لأنهن شاركن في إحدى المظاهرات الاحتجاجية، كانت أهم رسالة خرجت من مصر إلى عواصم العالم يوم الأربعاء «11/28». إذ نشرتها مختلف الصحف واحتل خبرها صدارة نشرات الأخبار، حيث لم يصدق أحد، ولم يتصور، أن تقوم في مصر ثورة ضد استبداد مبارك ونظامه القمعي في عام 2011، ثم يعيد التاريخ نفسه مرة أخرى بحيث تصدر أمثال تلك الأحكام المفرطة في القسوة ضد 14 فتاة أعمارهن بين 15 و22 سنة، في حين يتم إيداع سبع من زملائهن إلى مركز رعاية الأحداث لمدة غير معلومة. كل ذلك لأنهن خرجن ذات صباح إلى شارع الكورنيش في الإسكندرية في مظاهرة ضد الحكومة.

لم تكن قسوة الحكم وحدها ما صدمنا وأثار دهشتنا، لأن الصدمة كانت مضاعفة لدى عدد من الأصدقاء العرب الذين سجلوا آراءهم وأعربوا عن دهشتهم إزاء حدوث ذلك في مصر الثورة من ناحية، ومن خلال قضائها «الشامخ» من ناحية ثانية. وهو ما يسوغ لي أن أقول إن الحكم بذلك الأداء أساء إلى سمعة مصر وإلى ثورتها، كما أنه شوه صورة القضاء المصري.

لا أقول ذلك من باب التخمين لأن أصداء الحكم التي تسارعت على شبكة التواصل الاجتماعي شهدت بذلك وبما هو أكثر منه. وحين قمت بتجميع تلك الشهادات في تجربة سريعة لتحليل الخطاب وجدت أن كلمتي «العار» و«الفضيحة» ترددتا في أكثرها، وأن غضب المستهجنين له انصب على الفريق السيسي والداخلية والقضاء الشامخ، ولاحظت أن المصطلح الأخير بات يتردد من قبيل الغمز والسخرية، كذلك ترددت وتواترت في الكثير من التعليقات المقارنة بين الحكم الذي يسجن طالبات الثانوي 11 عاما، وبين معاقبة قتلة خالد سعيد بالسجن سبع سنوات، أما الضابط قناص العيون فقد حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات فقط. وأضاف أكثر من واحد أن الضابط الذي اتهم بقتل 37 شابا أخلى سبيله. وهي مقارنة فاضحة وفادحة. وهو ما دفع الأستاذ جمال عيد مدير الشبكة العربية لحقوق الإنسان إلى تذكيرنا بأن الذين قتلوا خلال 18 يوما من الثورة كانوا 841 شخصا وأن 215 شهيدا قتلوا في فترة حكم المجلس العسكري وأن 154 شهيدا سقطوا أثناء حكم الدكتور مرسي، في حين أن 740 شخصا قتلوا في يوم واحد جراء فض اعتصام رابعة.

لقد شاءت المقادير أن يتزامن صدور الأحكام على فتيات الإسكندرية مع صدمة اعتقال نائب رئيس النقض السابق المستشار محمود الخضيري ومع التظاهرات التي خرجت في القاهرة ومدن أخرى رفضا لقانون التظاهر الجديد. وهي التي قمعتها قوات الشرطة التي اعتقلت بعضا من المشاركين فيها وعرضت المشاركات لصور مختلفة من الترويع والإهانة، الأمر الذي كان له صداه السريع على شبكة التواصل الاجتماعي التي نقلت أصوات الاحتجاج والنقمة وفتحت ملف المعتقلين وما يلقونه من عنت وفظاظة في أقسام الشرطة ومعسكرات الأمن المركزي. وزاد الطين بلة أن مقدمي البرامج التليفزيونية وضيوفهم من أركان النظام القائم ومؤيديه شنوا حملة تنديد موازية بالمتظاهرين. وقد رد أنصارهم ومؤيدوهم بسرعة على الحملة بما تستحقه وانهالوا بالسب والتجريح لمقدمي البرامج وضيوفهم.

الخلاصة أن ما جرى يستدعي مجموعة من الملاحظات هي:

إن حكم القضاء وأسلوب تعامل الشرطة مع المتظاهرين أعاد إلى الأذهان سجل الممارسات المذلة والمهينة التي تمنى كثيرون تجاوزها وطي صفحتها بعد الثورة، بل إنها كانت أحد الأسباب التي دفعت المصريين إلى الثورة.

إن صدمة الحكم على فتيات الإسكندرية والقمع الذي مورس ضد المتظاهرين والإهانات التي وجهت إلى المتظاهرات هزت من صورة النظام القائم على نحو كان له تأثيره على المزاج العام الذي ظهرت فيه بوادر النقمة على الشرطة وحكم العسكر. وقد عبرت عنه هتافات المتظاهرين وتغريدات المعلقين. ومن هؤلاء زميلنا الأستاذ أسامة غريب الذي عاتب في تغريدته من خرج في 26 يوليو قائلا: فوّضت يا فالح!

إن النقمة لم توجه ضد الشرطة وحكم العسكر فحسب، ولكنها شملت أيضا المثقفين والإعلاميين الذين أيدوا سياسات السلطة وحاولوا الدفاع عنها وتبريرها.

الملاحظة الأخيرة والأهم أن الصدمات التي تلقاها المجتمع خلال الأسبوع الأخير وسّعت من دائرة الاشتباك في الساحة المصرية. إذ إنه في حين ظل طرفا الاشتباك طوال الأشهر الأربعة الماضية هما السلطة والإخوان، فإن التصعيد الأخير أدخل أطرافا أخرى من خارج الإخوان في دائرة الاشتباك. وقد عبر عن ذلك أحد النشطاء عبر تويتر حين ذكر أن مصر قبل الحكم على فتيات الإسكندرية ستكون مختلفة عن مصر بعدها.

ما جرى ذكرنا بقصة الدبة التي أرادت أن تنهش الذباب عن وجه صاحبها فألقت عليه حجرا قتل الرجل. فإذا كنت قد عرفت الدبة وخمنت من هم الذباب فلا تسألني عن الرجل!

عن «الشروق» المصرية

الإمارات وإيران

عبد الغفار حسين

وصف الشيخ عبدالله بن زايد وزير خارجية الإمارات العلاقات بين الإمارات وإيران بأنها علاقات قديمة وتاريخية.

والحقيقة أن الشيخ عبدالله مصيب كل الصواب في ما قاله، فالعلاقات بين البلدين تضرب بجذورها في عمق التاريخ، وتعود إلى العهد الساساني قبل ظهور الإسلام بأكثر من ثلاثمئة عام، فمن جلفار التي هي رأس الخيمة وما حولها في الإمارات خرجت أعداد هائلة من المسلمين العرب وممن اعتنق الإسلام من الفرس لفتح بلاد فارس على الضفة الفارسية من الخليج وتوغلوا في العمق إلى كرمان وشرقا إلى مكران في بلوشستان وجوادر وإلى الغرب حتى جنابه على تخوم بوشهر الحالية، وشمالا حتى تخوم شيراز. وفي القرن السادس عشر الميلادي، حارب جنود من الإمارات جنبا إلى جنب مع جنود الشاه عباس الصفوي بمعاونة الإنجليز، فطردوا البرتغاليين من موانئ هرمز وماجاورها كجزيرة قشم أو جسم وهنجامة ولارك التي تقع في فم مضيق هرمز عند مدخل الخليج من بحر عمان.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، أعان الشيخ زايد بن خليفة السلطات الفارسية في استعادة سيطرتها على الموانئ الفارسية في الخليج والتي كانت تخضع في ادارتها للأجانب من هولنديين وبلجيكيين وغيرهم، وذكر عن هذه الأعانة الحاج أحمد خان البندعباسي في كتابه «أعلام الناس في أحوال بندر عباس»، وفي السبعينات من القرن المنصرم اشترك المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في إعانة عمان مع الإنجليز وإيران في محاربة الشيوعية المتمثلة في المنظمات الإرهابية المدعومة من الراديكالية العربية وغيرها، ومركزها جنوب اليمن، وكانت هذه الإعانة القوية من الأسباب الأساسية التي دعمت الشرعية في سلطنة عمان.

وما من شك أن هذا التعاون المثمر كان من أجل خير الضفتين الخليجتين العربية والفارسية والحيلولة دون وقوعها في براثن الفتن والمحن، وكذلك فإن هذا التعاون دليل على أن أمن الخليج ومياهه أمن مشترك ولا يستقيم هذا الأمن إلا بالتكاتف بين الدول المطلة على ضفافه.

وتفعل دولة الإمارات حسناً في محاولاتها الدبلوماسية لجعل التقارب بين الإمارات وإيران أمراً واقعاً، فمثل هذا التقارب هو لمصلحة البلدين ولمصلحة الشعب الخليجي بصفة عامة، سواء العرب منهم على ضفافهم العربية أو الإيرانيين على الضفاف الفارسية الذين تربطهم بالخليجيين صلات من الوشائج من الصعب انفصالها.

ولابد لنا من الأخذ بعين الاعتبار أن الاستراتيجية الإقليمية تقتضي التعاون المثمر بين دول الخليج العربية وإيران عامة وبين الإمارات وإيران بصفة خاصة، ومما يثير الاستحسان أن نرى الاهتمام بهذه الاستراتيجية قائما من القيادة الإماراتية التي لا تعتبر حقوقها المشروعة في الجزر المحتلة من قبل إيران، حائلاً دون هذا التعاون.

وما زيارة الشيخ عبدالله بن زايد الأخيرة إلى إيران واشتراكه في افتتاح مبنى السفارة الإماراتية الجديد، إلا عمل من أعمال الدبلوماسية المتزنة والوقورة.

ومن الطبيعي أن تثير مثل هذه الزيارات تعليقات في الأوساط الإعلامية، ولاسيما حول شخصية ذات ثقافة سياسية عالية، مثل الشيخ عبدالله بن زايد، ويأتي بعض هذه التعليقات متسمة بعدم الاتزان، ولكن ذلك لا يعني مطلقاً أن يثبط من عزيمة الاستمرار في النهج المعتدل والإيجابي الذي تتبعه دولة الإمارات في علاقاتها مع سائر الدول، ولاسيما الدول الإقليمية ومن بينها الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وفي رأيي أن على الجميع مباركة السياسة الإيرانية الجديدة المعتدلة في التعامل مع القلق الذي يساور المجتمع الدولي حول برنامج إيران النووي، وكذلك التفاؤل بالخير من لهجة الخطاب الإيراني الجديد ذي البعد الإيجابي البعيد عن التشنج والعصبية.

عن «الخليج» الإماراتية